

مقدمة الكتاب

ظل هذا الكتاب فكرة تعتمل في مخيلة المؤلف فترة طويلة من الزمان ، وقد أتيت له أن يحاضر في العملية الابتكارية سنة بعد أخرى حتى تبلورت أفكاره على هذا النحو الذي يجده القارىء ، مفصلاً في الصفحات التالية . ويؤمن المؤلف بأهمية العملية الابتكارية وضرورتها في الانتاج الفنى على اختلاف أنواعه ومظاهره . وهى السند الذى يُعتمدُ عليه فى الحكم على سلامة هذا الانتاج وجودته .

ان عددأ لا حصر له من الصور التى تشاهد فى المعارض ليست إلا ترديداً ميتاً لاتجاهات فنانيين غربيين اشتهروا بها ، وترديدها بهذا الشكل يحطم السند القوى الذى يجب أن تعتمد عليه الأعمال الفنية كنتائج لعمليات ابتكارية أصيلة وراءها عقل مفكر ، وإحساس نابض ، وطراز مميز . كما أن أساليب التدريس المنتشرة فى كليات الفن ومعاهده . ما هى إلا تعريف بالماضى وترديده على أنه الغاية السامية من تدريس الفنون وتلك الأساليب لا تشجع نمو شخصية كل تلميذ أو بروز طرازه الفردى ، الأمر الذى يهدم من أساسه العملية الابتكارية ، ويعوق التقدم .

وتثار بين آونة وأخرى مناقشات حول أصالة موسيقى معين ، ويتساءل النقاد عما أضافه ، ثم يجدون فى النهاية أنه يعتمد فى انتاجه على الاستعارة من الأعمال الغربية ، وتصل الاستعارة الى درجة النقل ، بحيث يسهل التعرف على مصادر

بعض الجمل الموسيقية المستخدمة ، ثم يحار النقاد في سبب شهرة هذا الموسيقى التي يرجعونها الى عدم نضج الجمهور نضجا فنيا واعيا ، وقلة اطلاعه ، فيصدر أحكاما يعوزها الدقة والتبصر .

وهناك الجدل الذى يدور بين حين وآخر حول تكوين فن قومى يعكس فلسفتنا ، وحياتنا ، وحضارتنا ، وينبثق من تربتنا ، ولكن كيف السبيل الى مثل هذا الفن اذا لم يعتمد على طبيعة العملية الابتكارية كما كشفها القرن العشرين ، أو اذا أغفل تشجيع الطاقات الخلاقة عند الأفراد ؟

ويتساءل المؤلف : هل تقتصر العملية الابتكارية على الفن وحده ، أم تدخل في بناء كل الأشياء مهما اختلفت مظاهرها ووظائفها ؟ وهل الفنانون وحدهم ، دون غيرهم من سائر البشر هم الذين يمرون في العملية الابتكارية ويصلون سعيها ليحققوا قيمهم المبتكرة ، أم أن الناس جميعا يمرون بهذه العملية ولو بدرجات متفاوتة تتلاءم مع مهنتهم المختلفة ؟

ان هذا الكتاب يوضح للقارىء معنى العملية الابتكارية ، ويشرح طبيعتها ، ويجلو خطواتها ، ويتحدث عن خصائصها ومقوماتها ، ويفسر نظمها وأسلوب تقويمها ، ويتبع آثارها التربوية . ويبين الكتاب أهمية العملية الابتكارية بالنسبة لمدرسى التربية الفنية ، والمشتغلين بالفنون على اختلاف أنواعها

وأشكالها ، كما يناقش دورها في الثقافة العامة لكل مواطن
أيضا كانت مهنته أو ميدان تخصصه .

ويحدد الكتاب العملية الابتكارية على أنها المسلك الذي
يتخذه الفنان ليكشف عن علاقة فنية مجهولة ، أو علاقة جمالية
غير مألوفة لتصبح ميسورة للمتذوق . وتختلف بداية العملية
الابتكارية عن نهايتها ، فقد يبدأ الفنان فيها بمدرجات حسية .
لكنه ينتهي بأنظمة لها طابعها الكلي ، وليس لها مقابل في
الطبيعة أو في البيئة . ان العمل الفني المبتكر ذو أصالة وفرادة .
وجديد في نوعه ، وهذه الجودة تستند الى هضم الماضي
 وإعادة تشكيله بما يتناسب مع الحاضر والمستقبل . ان العصر
الذي يعيش فيه الفنان يؤثر على ابتكاره ، كما أن شخصية
الفنان ونوع طفولته لهما دورهما في تشكيل هذا الابتكار .
ان العملية الابتكارية في مجموعها ليس لها قواعد ثابتة ، فكل
فنان مثل* فريد رغم أنه قد يمر في حالة لها أسسها العامة
التي يشترك فيها مع غيره ، وهذه الأسس رحيبة ومتنوعة
وتأخذ شكلا خاصا مع كل فنان .

ان العملية الابتكارية هي محك العقل المفكر الحساس ،
الذي وصل الى مستوى رفيع من النضج ، ولا بد لكل معلم -
أيضا كانت مادته ، أن يفهمها ويحسها ، بل عليه أن يمارسها .
والممارسة هي التي تكسبه القيم الحقيقية والمعاني الأصلية
ان المعلم الفنان الذي يمارس عملية الابتكار يستطيع أن

يوجهها عند تلاميذه ، ويمكنه أن يتذوق انتاجهم اذا كان مبتكرا ، ويعرف الطريق لتتميته وتطويره . أما المعلم غير الفنان الذى يتلقف معلوماته من هنا وهناك دون أن يكون له عقلية مبتكرة ، فانه لا يقدر على ارشاد تلاميذه ارشادا موفقا . بل ان وجوده بهذا النقص يعرقل نموهم الفنى ، وينتكس بقدراتهم الخلاقة ، ويفرض عليهم مستويات غير أصيلة تعوقهم عن الابتكار ، كما تؤخرهم فى تذوقهم .

لقد عالج الكتاب هذه النقط المتقدمة ، كما خلص العملية الابتكارية من بعض الشوائب مثل : المحاكاة أو النقل الحرفى تختلط به عند الرأى العام ، وقد دعمت آراء الكتاب بالصور الفنية . وبتحليل لاتجاهات الفنانين أنفسهم . ولعمل القارىء المتتبع لأعمال المؤلف يدرك الصلة بين ما جاء فى هذا الكتاب مفصلا ، وبين ما جاء إجمالا فى غيره من الكتب فالموضوع تمتد جذوره الى أولى كتابات المؤلف ، ولكن الأفكار هنا قد نمت بشكل أكثر تفصيلا وإيضاحا .

وبعد - فيرجو المؤلف أن يكون بكتابه هذا قد أسهم بنصيب متواضع فى المكتبة العربية ، ويأمل أن ينتفع به أولئك الذين يشقون طريقهم فى الحياة متخذين الابتكار نبراسهم ، والعملية الابتكارية هدفهم الكبير ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

مصر الجديدة فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٦٤

مقدمة الطبعة الثانية

كلما تقدم الزمن عرف الناس أهمية الابتكار وقدر المبتكرين الذين على أساس ابداعاتهم يتحقق التطور والتقدم للمجتمع . وتفخر المجتمعات المتحضرة بمبدعيها الذين يحملون مشعل الحضارة ، وما أحوج بلادنا في الشرق الأوسط أن تهتم في التعليم بالجوانب الابداعية حتى تكثر من المبدعين الذين يرفعون شأن مجتمعاتهم ، ويقودون السفينة الى حيث خير الانسانية ورفاهيتها .

وفي هذه الطبعة الثانية لكتابي « العملية الابتكارية » قد أضفت فصلين جديدين : السادس عن الابداع والتراث والسابع عن المؤتمر الدولي الخامس والعشرين للانسيا الذي عقد في ريودي جانيرو سنة ١٩٨٤ وكان من بين جلساته اهتمام بالابداع كما أضفت مثبتا بالأعلام ولوحات بالألوان من بينها نماذج من محاولات الفنان الابداعية .

ولعلني بهذه الاضافات قد استكملت جوانب هامة للكتاب الذي أرجو أن ينتفع به الجيل الجديد من مدرسي التربية الفنية وسائر المشتغلين بالتعليم وتربية الأطفال ورعايتهم .
والله أسأل أن يوفقني دائما للخير ويلهمني البصيرة ،
فعلية نتوكل واليه نتجه وهو الهادي الى حسن السبيل .

الدوحة في ١٥ يناير سنة ١٩٨٥

المؤلف